الأدب المصرى القديم

بقلم

جمال الدين الشيال

ليسانسيه في التاريخ من الجامعة المصرية

obeikandl.com

obeikandl.com

تقدمة

تدين الحضارات جميعاً للمصريين القدماء بالفضل العميم ، إذ كان المصري القديم أول من فكر في تسجيل خواطره وأفكاره ، وكانت لهُ محاولات جدية قديمة في هذا السبيل حتى وفق أخيراً إلى اختراع الكتابة ومن ثم أخذ يسجل هذه الخواطر وهذه الأفكار على الأحجار أولاً ثم على جدران المعابد والمقابر . غير أنهُ تبعاً لسنة التطور اتسعت آفاق تفكيره وتقدمت مرافق حياته وبالتالي أوجد لنفسه آداباً وعلوماً وأحبَّ تسجيلها في صحف يتناقلها الخلف عن السلف ، وأحب تلقينها للمصريين جميعاً بل ولسكان العالم الانساني فألجأتهُ الضرورة إلى اختراع ورق البردي . فكان هذا الاختراع الهدية الثانية الى العالم كي يعرف نفسه ويدوّن ما عرف ليتركهُ للأجيال التالية جيلاً بعد جيل

سهلت إذن على المصري الكتابة . فالكتابة على ورق البردي أسهل من النقش على الحجر — ما في ذلك شك — وملأ الصحف بأدعياته الدينية ، وآغانيه الغرامية ، وأناشيده الوطنية ، وقصصه الشعبية ، وآرائه العلمية والفلكية . فكان لنا مما بقي من هذه الصحف ذخر لا زلنا نجد في استقراء أسراره

إذن فقد كان للمصريين القدماء أدب حي استمر يتطور بتطور الحضارة المصرية حتى وصل إلى نوع من الأدب الرفيع المعبر عن العواطف والآمال . وقد وصل إلى علماء المصريات أوراق من البردي كتبت عليها قصص هي من أجمل القصص موضوعاً وخيالاً ووصل اليهم ايضاً شعر وغناء وأناشيد كلها كالقصص ممتع وجميل . وكان للمصريين إلى جانب هذا كله أدب ديني قائمٌ بذاته كانوا يصلون فيه إلى مذهب أبي نواس حيناً فيناجون اللهو والساقي والخمر والراقصة وإلى مذهب أبي العتاهية حيناً آخر فيناجون القلب والروح والآلهة

وشبابنا المثقف يعرف أن لليونان القدماء أدباً مزدهراً يقرأونهُ بل ويدرسهُ الكثيرون منهم ، وشبابنا المثقف يعرف أن للفرس كذلك أدباً مزدهراً يقرأونهُ بل ويدرسهُ البعض منهم ، وشبابنا المثقف يعرف أن للعرب وللروس وللفرنسيين وللانكليز بل ولكل شعب من شعوب العالم القديم أو الحديث أدباً مزدهراً كذلك يقرأونهُ بل ويدرسهُ ويكتب عنهُ الكثيرون منهم

وبعد . فهل يعرف شبابنا جميعاً والمثقفون منهم خاصة أن للمصري القديم أدباً وُجد وازدهر وأينع قبل ان توجد آداب الشعوب جميعاً ؟

قال سقراط : «اعرف نفسك » فهذه الكلمة اليسيرة يجب أن تكون نبراسنا في هذه الحياة. يجب أن نعرف عن أنفسنا كل شيء قبل أن نسعى لمعرفة الغير.. ومصر القديمة بتاريخها وآدابها وعلومها وفنها تكاد تكون مجهولة لدى الغالبية العظمى — لا أقول من الشعب — بل من الشباب المثقف

﴿ توت إله العلم والحكمة والأدب ﴾ : كان المصريون القدماء يعتقدون أن مخترع الكتابة المصرية هو الاله تحوتي Tehuti أو توت Thoth — ومن هنا سميت الكتابة عندهم بالكتابة الهيروغليفية أو الكتابة المقدسة . . ومن عقائدهم ايضاً أن توت هو الذي اخترع علم الحساب وإذ كان هو الذي يتولى ضبط مدارات الشمس والقمر والنجوم وينظم الفصول فقد اعتبروه أول عالم بعلوم الفلك

كان توت إذن إله الحكمة والمعرفة في الأرض والسماء والمبتكر لكل محاولة حاولها الانسان في الرسم والتصوير والنحت . سيد الكتب وموجدها ، والكاتب الحاذق — كاتب الآلهة والأمين على سجلات البشر حيث تدوّن أعمالهم

علمهُ الغزير كان يمكنهُ من العثور على الحقيقة دائماً . وهذه المقدرة دعت المصريين إلى تعيينه قاضي قضاة الأموات

وتقول الرواية القديمة إن توت تولى هذا المنصب في الجنة عند محاكمة اوزيريس لما اتهمهُ أخوه «ست» إله الشر بارتكاب بعض الجرائم ....درس توت القضية درساً وافياً وأعلن رأيه للآلهة أن ادعاءات « ست » باطلة وأن قول « أوزوريس » هو الحق . . . ولذلك كان المصريون يصلون لتوت دائماً رجاء أن يحكم لهم يوم البعث كما حكم لاوزوريس ، ورجاء أن يطفف الكفة التي تحمل قلوبهم يوم الحساب

وتقول الرواية الشعبية القديمة إن كتب « توت » الدينية كانت تحوي كل أنواع العلم والمعرفة وإنها هي التي اكسبت مصر هذه الشهرة العلمية العالمية وإنها كانت تبلغ ٣٦٥٢٥ كتاباً

كان المصريون يبجلون الكتاب الذين يدرسون هذه الكتب وينسخونها لاعتقادهم أن روح « توت » كانت تحل فيهم . . وكان للكاتب لديهم مقامٌ جليل لا يعدلهُ مقام انسان آخر لانهُ رجل العلم والمعرفة

ويبدو « توت» على أوراق البردى والتماثيل في شكل رجل له رأس ابيس Ibis ويصحبهُ دائماً نسناس لهُ رأس كلب يدعى Asten

﴿ المملكة القديمة ﴾ : امتاز العصر الاول — عصر المملكة القديمة — بنوع خاص من الأدب الديني الخالص هو ثمرة من ثمار سيطرة الكهنة الدينية في هليوبوليس ، ويتكوّن

هذا الأدب من تلك الوثائق المعروفة « بنصوص الاهرام » التي تعدُّ بحق أوفى مرجع عن تاريخ وديانة هذا العصر

ويقصد بهذه النصوص النصوص الهيروغليفية الطويلة المنقوشة على جدران خمسة اهرامات في سقارة أقدمها بُني للملك « اوناس Unas » أحد ملوك الأسرة الخامسة . والاربعة الباقية بُنيت لتيتا Teta وبيبي الاول Pepi ومرفرع Merevra وبيبي الثاني Pepi II من ملوك الأسرة السادسة

وهذه النصوص أقدم صورة من صور الأدب الديني لأنها تتحدث عن عقائد ترجع إلى آلاف السنين قبل الأسرة السادسة

ومن المرجح أن قدراً كبيراً من هذه النصوص قد أنشأهُ قساوسة المصريين لصالح الأموات في عصور سحيقة جدًّا قبل ان يعرف المصريون الكتابة . وانهم كانوا يعيدون تلاوتها عند وفاة كل ملك .. وكان رجال الدين اول الأمر يحفظون هذه النصوص عن ظهر قلب ثم تناقلتها الألسن جيلاً بعد جيل حتى تعلَّم المصريون الكتابة وخشوا ان تأتي عليها يد النسيان فسجلوها على جدران هذه الاهرام

وتحدِّثنا نصوص الاهرام عن المعتقدات الدينية القديمة للمصريين الأول كما تروي لنا بعض الحقائق التاريخية التي لا نعثر عليها من مصدر آخر . ولكن بعض مقطوعات هذه النصوص تصور ألواناً من الحياة والأجواء وأشكالاً من الحضارات الغريبة التي لا نستطيع فهمها في عصورنا الحديثة .. كذلك معاني بعض كلماتها غير معروفة وتركيب بعض الكلمات والجمل غير مألوف والآراء التي تعبر عنها غريبة لأنها تمثل آراء العنصر المصري الافريقي الأول

وقد كتبت هذه النصوص لخير الملك الميت ولتجلب لهُ السعادة في العالم الآخر ولتمكنهُ من ان يكون ملكاً في هذا العالم الآخر كما كان ملكاً على الأرض قبل موته .. ولذلك كان موضوع كل صلاة أو أدعية أو أغنية في هذه النصوص يدور حول هذا المعنى « حفظ الحياة للملك في العالم الآخر ليتولى العرش هناك »

غير اننا لا نعدم العثور في مخلفات هذا العصر على بعض النصوص الادبية التي تتحدث عن الشؤون الدنيوية — وإن كانت هذه النصوص محصورة قليلة العدد كأغنية الراعي أو أغنية حملة الاثقال وكلتاهما منقوشتان على مقابر ممفيس فوق الصور التي تمثل نواحي الحياة الاجتماعية المختلفة

﴿ فترة الانتقال ﴾ : وفي فترة الانتقال بين المملكتين القديمة والوسطى نشبت ثورة اجتماعية خطيرة كانت النذير ببدء عهد أدبي جديد — فقد تحرر الشعب من القيود الدينية وتحرر من ضرورة الكتابة على الحجارة وجدران المقابر — وكانت لهُ آلام وآمال بعثت في نفسه الشكوى

والرجاء فلجأ إلى طريقة سهلة يسيرة للتفريج عما في نفسه واستبدل الحجارة بأوراق البردي يمليها شجونه وشعوره

وكان شأن الشعب اثناء هذه الثورة شأن الشعوب جميعاً اثناء الثورات جميعاً فقد اصطدمت الاماني الروحية بالقوة الباطشة، ولم تجد الفصول الادبية المجال للظهور والانتشار، ولم يستطع الشعب إظهار بعض آثاره الادبية إلاَّ في عهد ملوك هراكليوبوليس (ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة) فظهرت (تعاليم الملك مريكارع) و «نقد التجارة» و «قصة الفلاح» وكلها تعد مرآة صادقة للظروف السياسية التي كانت تجتازها البلاد في ذلك الحين . .

ويمتاز أدب هذه الفترة بغياب الروح الدينية . وليس هذا غريباً إذا عرفنا أن العهد عهد ثورة وأن الأدب أدب ثورة . . ومع هذا فانا نجد لحادثات هذه الثورة صدى نسمعهُ في «أغاني بيت الملك أنتف» التي يشترك العوَّادون في تلحينها . . في هذه الاغاني يبدو الشك الفاشي ويكشف عن نفسهِ في نبوغ وأمن لا تهدده اضطرابات عهد الثورة

﴿ بعد الثورة ﴾ : وبابتداء عهد الأسرة الثانية عشرة كان النظام والأمن قد استتبا وعادت الحياة تسير سيراً هادئاً لا اضطراب ولا قلق فيهِ — وأُعدت للجماعات نظم تعتمد على القوانين العادلة وتلاشت الفوارق وغابت حقوق أوزوريس التي كانت تميز فريقاً على فريق وانتشر في مصر أدب ديني جديد كانوا يكتبونهُ على الأكفان والتوابيت وورق البردي . . هذا الأدب يتحدث عن المثُل الصالحة وعن الحياة الطيبة الهانئة في العالم الآخر . . ونشأت في البلاد مدرسة أدبية خاصة تعمل على نشر أساليب اللغة البديعة وتعمل لايجاد أسلوب بديعي جديد . . وقد ترك لنا هؤلاء الكتَّاب بعض قصصهم الرائعة كقصة «سنوحي» وقصة «الملاح الغريق» كذلك امتاز هذا العصر بأنواع شتى من الأدب كأدب الذكريات والأدب الغنائي وأدب الحكم التي تنسب الى الوزراء والملوك السالفين

﴿ أدب جديد في الامبراطورية الحديثة ﴾ : حتى اذا انتهى عهد المملكة الوسيطة وابتدا عهد الامبراطورية الحديثة فانا نجد أن الأدب يساير المجتمع في تقدمهِ ويتطور تطوراً سريعاً نحو الحرية، ويحاول ان يبعد قليلاً عن أشكالهِ القديمة . . فان امتداد النفوذ المصري في انحاء الامبراطورية والاصلاح الديني الذي دعا اليهِ الملك «اخناتون» قد مهدا السبيل لايجاد أجواء جديدة من التفكير والخيال . . فنجد الأدب يحطم الاشكال القديمة ويفلت من قيود المدرسة الأدبية السالفة ويخرج آياته للمصريين في أسلوب سهل حي مستساغ . بل وسرعان ما تطرقت هذه السهولة وهذه الحياة إلى اوساط الموظفين ورجال الادارة والمثقفين من الشعب . وخير صور هذا الأدب الجديد تبدو في القصص الكثيرة التي وصلتنا عنهُ والتي يرجح المؤرخون

انها كتبت للأطفال والعامة من الشعب . . ولكننا — مع بساطتها — نقرؤها فنحس لحوادثها روعة وعذوبة لا نحسهما في أنفسنا عند قراءة أدب العصر السابق

﴿ الأدب الديني والاخلاقي في هذ العصر ﴾ : كذلك لم يخلُ هذا العصر من بعض صور للأدب الديني . فالحياة الدينية في مصر القديمة كانت تحتل المكانة الاولى من تفكير المصريين القدماء . ونلاحظ ايضاً ان هذا التطور الذي لحق أدب هذه الفترة قد شمل هذه الصور من الأدب الديني فامتازت هذه الصور بطابع خاص يميزها عن غيرها . . وخير مثال لها « أغنيات آتون » التي تتحدث عن حب العبد المخلوق وإخلاصه للاله القوي الواحد الأحد. كذلك امتاز أدب هذا العصر بظهور الدعوة الأخلاقية . استمعوا الى هذا الحكيم « آني » وهو يبين للابن واجبهُ نحو أمه :

« ضاعف الخبز الذي تعطيه لأمك . احتملها كما احتملتك . إنها عند ما ولدتك بعد شهور من حملك استمرّت تحملك على عنقها . وبقيت أعواماً ثلاثة وثديها في فمك . انها لم تشمئز يوماً من أقذارك . انها لم تقل يوماً : « لم فعلت هذا ؟ » لقد أخذتك الى المدرسة حيث تتعلم القراءة . . واعتادت أن تنتظرك هناك كل يوم ومعها الخبز والشراب من المنزل . . فعند ما تنمو وتصبح ذا زوجة وبيت خاص ، أرجع بصرك إلى الوراء لتذكر الوقت الذي حملتك أمك . . هل لك ألاّ تدعها تعاريك . . وألاّ ترفع يديها الى الله فتشكو اليه منك . . »

كذلك استمعوا الى هذه القطعة الأخلاقية الجميلة :

« احترس من المرأة الاجنبية غير المعروفة في المدينة . . إنها كمجرى من الماء — عميق لا حدّ لهُ . . لا أحد يعرف حدودها . . المرأة التي تلحُّ عليك كل يوم عند ما تكون وحيدة وزوجها غائب . « أنا جميلة . . » من الخطيئة التي تستحق الموت أن تنصت اليها . . »

هذه أمثلة لأدب كتبهُ جماعة ذوو نصيب من الثقافة . . ولكننا الى جانب هذا الأدب المثقف نجد أمثلة حية من الأدب الشعبي في عهد الامبراطورية الحديثة . قصصاً رائعة كتبت بالخط الديموطيقي تتحدث عن مخاطرات بعض الجنود وكانت هذه المخاطرات تنتهي في الغالب بتسويدهم حتى يصبحوا ملوكا أو أمراء

﴿ أغاني الحب ﴾ : إلى جانب هذه القصص امتاز هذا العهد بظهور كثير من أغاني الحب . وهذا اللون من الأدب الغنائي الخالص يبين بوضوح ناحية جد طريفة من نواحي التفكير المصري . هذه الأغاني الغرامية وضعت « لإدخال السرور في القلب » على حد تعبير المصريين القدماء ، ولهذا كانت تغنى دائماً على القيثارة أو الناي . ومعظم هذه الشذرات الغنائية نوع من الحوار يتبادل فيه الرجل والمرأة الغناء «dialogue» ويدعو أحدهما الآخر « بأخي » و « أختي »

ونحن عند دراسة هذه الأغاني وتحليلها نلاحظ صدق ما رواهُ هيرودوت عن صور الإباحية في مصر القديمة فهو يخبرنا ان نساء مصر القديمة كنَّ يتمتعنَّ بنصيب كبير من الحرية في حياتهنَّ العادية وفي صخب الأعياد وضوضائها ، كما كنَّ يخرجنَ لشراء ما يلزم لبيوتهنَ في حين يبقى الرجال في المنازل للقيام بشئونها

وكانت العادة عند الغناء ان يبدأ الرجل ونصيبه — في الغالب — من الكلام قليل بينا تقوم المرأة بعده بالنصيب الأوفر من الغناء . . وها كم أغنية جميلة يتحدث فيها الرجل عن حبه . . يقول انهُ سيرتقي صفحة النيل متجهاً نحو ممفيس ، وهناك سيجد « اخته » في حديقة عطرة ، جالسة تحت الظلال ، وسيحس عند ما يرشف قبلة من شفاهها بالسعادة تسري في عروقه . إنهُ يحس وهو الى جانبها انهُ كالطائر الذي يقع راضياً في شراك الحب ، ولكن نشوة الحب غالبة عالية فهو خاضع لها . إنها أشد قوة في تأثيرها من الخمر . . ومالي أمسخ لكم كلام الرجل . . استمعوا إلى ألفاظ أغنيته : —

« سأرتقي صفحة النيل ومعي حزمة من الغاب أحملها على كاهلي . . سأذهب الى ممفيس ، وسأقول إلى بتاح — سيد العدالة « امنحني أختي هذه الليلة . فالنهر خمر ، وبتاح غابه ، وسخمت لوتسه ، وايارت براعمه ، ونفرتم زهوره . . انظر الى الفجر وممفيس تبدو كإناء مترع بالفاكهة وضع امام بتاح الاله ذي الوجه الحسن

سأرقد في منزلي ، وسأتظاهر بالمرض كأني ضربت وسيأتي جيراني ليعودوني ، وحينذاك ستأتي أختي معهم وستكون اشفى من الاطباء لأنها تعرف موطن الداء . .

أرى أختي قادمة فيحس قلبي السرور ، وأفتح ذراعي لأضمها إليَّ . عند ما تأتي حبيبتي يخفق قلبي في موضعه . . إذا ضممتها إليَّ وذراعاها تتقبلاني يخيل إليَّ أننا في بلاد بنت . وإذا ما رشفت قبلة من شفتيها وهما مفتوحتان فأنا سعيد دون خمر . . »

هذا هو حديث الرجل . . حديث ساذج بسيط ينبيء عن حب سهل يسير . هو يقع في الشراك سريعاً ، ويمكن استرضاؤه بسهولة . . اما حديث المرأة فسترون أنهُ يختلف عن حديث الرجل فهي أشد مكراً في حبها وأكثر كياسة في صبرها وأشد رضاء في فوزها . . انها تستعمل كل وسائل الاغراء . لقد اعتادت كل يوم الخروج لتنصب الشباك لصيد الطيور ، ثم تعود الى أمها محملة بالصيد . ولكنها تؤثر حبيبها على الطيور وأمها . . انها تفضل ان تقضي الوقت معهُ على ان تجلس لمراقبة الطيور وصيدها . بل انها لترجو ان تطلق الطير لتستمع الى شكواهُ وشدوه وحبيبها الى جانبها يشاركها السماع . فشعورها ملتهب ولكن افكارها عملية . كل ما تريد هو اتحاد خالد . هي تريد الزواج . وإليكم ألفاظ أغنيتها : —

« أيها الأخ الحبيب ! قلبي يتبع حبك وأنا اقول انظر ماذا افعل . . لقد اتيت ونصبت الشباك بيدي . كل طيور بنت تشرق في سماء مصر ودهن المر يغطيها . ولكن الطائر السابق هو الذي يلتقط الحب . وسيحضر العطر معهُ من بلاد بنت وستكون مخالبه محملة بالبخور . وكل بغيتي أن نطلق سراح الطائر معاً أنا وأنت وحيدين ثم نستمع الى صوته الشاكي المحمل برائحة المر . كم أكون سعيدة عند ما تكون معي وأنا أنصب الشراك ! صوت الاوزة يشكو عند ما تلتقط الطعم . . وحبك سيأخذني اليك — وسوف لا أفقده — بل سأغادر شباكي . ماذا أقول لأمي التي أعود اليها كل يوم محملة بالطيور . . ؟ ؟ واذا سألتني . . « ألم تنصبي شباكاً اليوم . . ؟ ! » لا . . بل أنا أسيرة حبك

قبلتك وحدها هي التي تبعث الحياة في قلبي . وعند ما أنالها سأدعو آمون ان يحفظها لي الى الابد

أيها الجميل ! كل ما يريد قلبي هو ان أستولي على اثاثك كسيدة لمنزلك وذراعي في ذراعك وإذا تحول حبك عني فإني أحدث قلبي « اخي العظيم بعيد عني الليلة . . » وحينذاك أصبح كميت في قبر

لم لا . . ؟ ألست لي الصحة والحياة . . ؟ ! »

وإليكم أغنية أخرى تناجي فيها فتاة اليمامة التي توقظها عند بزوغ الفجر بشدوها العذب وتضطرها إلى الاستيقاظ المبكر :

« صوت اليمامة يتحدث إليَّ . . « انهُ الفجر — أليس في نيتك الخروج ؟ لا ايتها اليمامة لقد وجدت « اخي » في فراشه . قلبي يفيض بالسرور فقد قال لي : « سوف لا أتركك وستبقى يدي في يدك . سأكون معك في تجوالي في كل مكان جميل . . » لقد جعلني اولى الفتيات ولم يبعث الالم الى قلبي . . »

الى جانب هذه الاغاني الفياضة بالحب المتبادل والاخلاص نجد الكثير من الاغاني المملوءة بالشكوى — الشكوى من الرجل غير المخلص المتقلب في حبه . وفيها نلاحظ ان حب المرأة أغنى في التعبير وأوفر في ألوان العاطفة من حب الرجل . كذلك نلاحظ على هذه الاغاني ان الشاعر توفرت لديه عناصر الشاعرية ، فهو اذ يتكلم عن الحب يخلق للأغنية الجو الشعري الذي يوائم الحب . فيتحدث عن المرأة التي تمشي في البستان وتتهادى بين الورود والرياحين ، أو يصوّر نبتاً او فاكهة تتحدث عن نفسها حديثاً يتصل بالحب ، او ينقل حديث الاشجار فهي التي تحمي المحبين تحت فروعها فتكون الامينة على أسرارهم . .

والى هذين الصنفين من الاغاني نجد صنفاً ثالثاً هو نوع من الغزل يتحدث عن الحب

فيتحدث عن المرأة وجمالها النسوي فيصفها عضواً عضواً . . ومن دراسة هذا الصنف الثالث نستطيع ان نلمح اي لون من الوان الجمال كان المصري القديم يفضل . كان المثل الاعلى للجمال عنده يتمثل في الشعر الأشد حلكة من الظلام ، والاسنان الاكثر صقلاً من الصوان ، والقد الأهيف ، والصدر المتزن الثابت

ونستطيع نحن بدراسة التماثيل والصور القديمة ان نعرف ان المصري القديم لم يكن ليعجب بالمرأة السمينة الضخمة ، بل كان يعجب كل الاعجاب بالمرأة النحيفة الرشيقة التي كانت تعده في العالم الآخر زوجة شابة صغيرة الى الابد

﴿ المغنّون والرّواة ﴾ : منذ عرف المصري الكتابة والكتّاب يورثون اسرارها وأساليبها خلفهم جيلاً بعد جيل . ونشأت في مصر تبعاً لهذا طبقة من الكتّاب العلماء يتولون وظائف الحكومة الادارية ويديرون دفة الحكم في حذق ومهارة ويضبطون ميزانية الدولة ويراقبون جباية الضرائب ويشرفون على توزيع الاراضي وريّها وفلاحتها واصلاحها . ولذا كان لهذه الطبقة مكانة جدّ محترمة لدى الملوك والشعب . وقد حذق بعض هؤلاء الكتّاب فنه واغرم البعض الآخر بالعلم والبحث والدرس وشغف نفرٌ ثالث بالادب وقد وصلتنا عن هؤلاء جميعاً وثائق تشهد لهم بالعلم والثقافة والاسلوب الرفيع

والى جانب هؤلاء كانت في مصر طبقة من المغنين والقصاصين . وهؤلاء عاشوا للشعب ومن الشعب ، ولا زلنا نرى لهذا اللون من الادب اثراً حيًّا في مصر الحديثة نحسهُ في هذه الآهات الرعاشة وهذه الليالي العذبة التي يرددها الفلاح في حقله او الملاح في سفينته ، يستعين بها وبالاغاني الشعبية الساذجة الحلوة على اداء واجبه . وكثيراً ما سجل الحفارون المصريون القدماء بعض هذه الاغاني التي كان يترنم بها الصنّاع والفلاحون والملاحون فوق الصور المنقوشة على جدران المقابر والتي تمثل حياة هؤلاء جميعاً

وكثيراً ما نعثر على صور بعض العميان الذين يحترفون الغناء منقوشة على هذه الجدران وهذه دون شك صورة قديمة لازلنا نرى لها شبيهاً في حياتنا الحاضرة . وهؤلاء الفتيات الراقصات المغنيات اللاتي يطفن بالقرى والاسواق صورة واضحة للفتاة المغنية في « رحلة اونامون Unamm »

ويرى A. Erman ان هذا الشاعر الذي يرتقي دكته العالية في المفاهي البلدية أثر مصري قديم انحدر الينا من مصر القديمة . حقًّا ان جدران المقابر لم تحفظ لنا صورته ولم ترو لنا قصصه ولكننا لو عرفنا ان غالبية هذه المقابر المنقوشة كانت تبنى للملوك وكبار رجال الدولة وان النقوش كانت لا تمثل الا حياة هؤلاء أو حياة خاصتهم وخدمهم في صناعتهم أو زراعتهم أو

صيدهم أدركنا لِمَ لم تحفظ هذه الجدران صورة هذا الشاعر القصَّاص الذي كان يتحدث الى الشعب في الشوارع والطرقات دون شك والذي كان يتحدث اليهم عن آمالهم وآلامهم مستمدًّا مادة قصصه وشعره من حياتهم أولاً ومن حياة الآلهة والابطال والملوك والرحالة ثانياً

ويعود Breasted فيقول أن معظم القصص التي وصلتنا عن مصر القديمة تؤيد وجود هذا الشاعر لان القصص التي يتلوها شاعر مصر الحديثة تتحدَّث في الغالب عن شخصيات تاريخية لها مكانتها في الشجاعة والكرم والبطولة كقصة الظاهر بيبرس أو هارون الرشيد وكذلك معظم القصص التي وصلتنا عن مصر القديمة تتحدث عن شخصيات تاريخية لها هذا المقام . فقد وصلتنا عن العصر المسيحي قصة عن قمبيز . وعن العصر الاغريقي قصة عن نكتنبو Nektanebus ونقل هيرودوت كذلك قصة رامسينيتس Rhampsinitus ولدينا من عصر المملكة الحديثة قصص تحتمس الثالث وقصة الملك الهكسوسي « ابوفيس Apophis » ومن أواخر المملكة المتوسطة قصص « خوفو »

﴿ القصص المصري القديم ﴾: وهذا موضوع خطير يحتاج الى مجلد وحده لبحثه بحثاً وافياً شافياً فقد وصلتنا عن مختلف عصور مصر القديمة قصص كثيرة بعضها يتحدث عن الآلهة والملوك والابطال ، وبعضها يتحدث عن السحر والسحرة والحيوانات الالهية كالتمساح والحية والبقرة ، وبعضها يتحدث عن أفراد الشعب وحياتهم وأحزانهم وأفراحهم وحبهم . وكل قصة من هذه القصص تحتاج الى بحث خاص لدراستها وتحليلها

وهناك ناحية أخرى أراها جديرة بالاهتمام وألفت اليها الانظار . تلك هي : الى اي حد تأثر القصص المصري في العصور الوسطى بالقصص المصري القديم ؟ واعني بذلك الى اي حد تأثرت الموسوعة القصصية « الف ليلة وليلة » او قصة « الاميرة ذات الهمة » او قصة « الظاهر بيبرس » . اقول الى اي حد تأثرت هذه القصص بالقصص المصرى القديم ؟

وانا من ناحيتي ارى ان الدراسة التحليلية لقصة « الملاح الغريق » ومقارنتها بقصة « السندباد البحري » أو لقصة « الشقيقين » ومقارنتها بقصتي موسى ويوسف وقصة « قمر الزمان » (إحدى قصص الف ليلة) او دراسة قصة « احزان الفلاح » وتحليلها ومقارنة نوع الحياة التي كان يحياها فلاح مصر القديمة بنوع الحياة التي يحياها فلاح مصر الحديثة . اقول إن دراسة من هذا النوع تكون طريفة كل الطرافة وجديدة كل الجدة . وعسى ان اوفق إلى بعض هذا في المستقبل ان شاء الله

obeikandl.com

مراجع

رأينا — اتماماً للفائدة ان نلحق بالكتاب ثبتاً بالمراجع التي يمكن القارىء ان يرجع اليها اذا شاء ان يستزيد من العلم بتاريخ مصر القديمة وحضارتها . ويلاحظ القارىء أننا اقتصرنا على أمهات الكتب وأوثقها لان ما كتب عن مصر القديمة اكثر من ان يحصيه كتاب كامل كهذا

Select Bibliography

I. General Works.

Breasted (J. H.) , A Hisrtory of Egypt (1 vol.) translated into Arabic by Dr. Hassan Kamal.

Baikie (J.) , A History of Egypt (2 vol.)

Brunton (W.) , Great Ones of Ancient Egypt (1 vol.)

Budge (E. A. Wallis) , a History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII.

Erman (A.) , Aegypten und aegyptische Leben in Altertum (1 vol.) reviewed by H. Ranke (1 vol.)

Herodotus, translated into English by H. F. Cary

Jequier (G.) , Histoire de la civilisation Egyptienne

Maspero (G.) , Histoire ancienne des Peuples de l'Orient classique (3 vol.)

— Causeries d'Egypte (1 vol.)

Meyer (E.) , Geschichte des Altertums.

Moret (A.) et G. Davy. Des clans aux Empires

Moret (A.) , Le Nil et la Civilisation Egyptienne (1 vol.)

— Au temps des Pharaons (1 vol.)

Morgan, (J. De) , Recherches sur les origines de l'Egypte

Petrie (F.) , A History of Egypt (3 vol.)

— Prehistoric Egypt

Smith (E.) , History of Mummification in Egypt

Steindorff (G.) , Die Blütezeit des Pharaonenreichs

— Geschichte Ägyptens

Weigal (A.) , The Life and Times of Akhnaton

— , The Treasury of Ancient Egypt

Wiedemann (A.) , Agyptische Geschichte (2 vol.)

II. Excavations.

Firth, Excavations at Saqqara

Junker (H) , Merimde, Benisaläme

Giza.

Lepsius (R.) , Denkmäler aus Ägypten und Aethiopien

Menghin (O.) , Mustafa Amer, The Excavations. of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi

Reisner G.) , Mycerinus

Selim Hassan, The Excavations of the Egyptian University at Giza

obeikandi.com

III Documents.

Breasted (J. H.) , Ancient Records of Egypt (5 vol.)
Gardiner (A.) , Late Egyptian Stories
Selim Hassan, Inscription Sur un socle de Statuette
Sethe (K.) , Untersuchungen zur Geschichte und altertumkunde Aegyptens.
-- , Urkunden des alten Reiches
Steindorff (G.) , Urkunden des Aegyptischen Altertums

IV Morale, Religion, Social Life.

Breasted (J. H.) , Development of Religion and Thought in Ancient Egypt (1 vol.
– , Dawn of Conscience. The Origins of Civilisation
Budge (E. A. Wallis) , The Book of the Dead. An English Translation (3 vol.)
— , The Gods of the Egyptians
— , Osiris and the Egyptian Resurrection
Erman (A.) , Die Aegyptische Religion (1 vol.) , translated into English by Griffith
– A Handbook of Egyptian Religion
Junker (H.) , Die Stundenwachen in den Osirismysterien
– , Die Onurislegende
Maspero (G.) , Etudes de mythologie et d'archeologie égyptiennes. (8 vol.)
Moret (A.) , De caractère religieux de la royauté Pharaonique (1 vol.)
— , Mystères égyptiens (1 vol.)
– , Rois et Dieux d'Egypte (1 vol.)
Petrie (F.) , Religion and Conscience in Ancient Egypt (1 vol.)
— , Social Life in Ancient Egypt (1 vol.)
– , Religious Life in Ancient Egypt (1 vol.)
Plutarque, Isis & Osiris translated by M. Meunier
Sayce (A. H.) , The Religion of Ancient Egypt
Schäfer (H.) , Die Religion und Kunst von El-Amarna.
Selim Hassan, Hymnes religieux du Moyen Empire.
Sethe (K.) , Amun und die acht Urgötter von Hermopolis
— , Urgeschichte und Älteste Religion der Ägypter
Steindorff (G.) , The Religion of the Ancient Egyptians, translated into Arabic by Prof. Selim Hassan Bey (1 vol.)
Wiedemann (A.) , Religion of the Ancient Egyptians (1 vol.)
Wilkinson (J. G.) , Manners and Customs of the Ancient Egyptians (3 vol.)

obeikandl.com

V Literature

Budge (E. A. Wallis) The Literature of the Ancient Egyptians
Erman (A.) Die Literatur des Aegypter (1 vol.) Translated into English by Blackmann
— The Literature of the Ancient Egyptians
Lange (H. O.) , Das Weisheitsbuch des Amenemope
Maspero (G.) , Contes populaires de l'Egypte ancienne (1 vol.)
Petrie (F.) , Egyptian Tales translated from the Papyri (2 vol.)
Sami Gabra, Les Conseils de Fonctionnaires dans L'Egypte Pharaonique
Selim Hassan Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport officiel sur la Bataille de Qadesh. (1 Vol.)
Wiedemann (A.) Popular Literature in Ancient. Egypt (1 vol.)

VI Archaeology, Fine Arts.

Bissing (Von) , Denkmäler ägyptischer Sculptur (2 vol.)
Boreaux (C.) , L'art egyptien (1 vol)
Capari (J.) , Les origines de l'art et l'art égyptien (1 vol.)
— , Les débuts de l'art en Égypte (1 vol.)
Jéquier (J.) , Manuel d'archeologie égyptienne
Maspero (G.) , L'archeologie égyptieune (1 vol.)
— , Histoire Generale de l'art : Egypte (1 vol.)
— , Essai sur l'art égyptien (1 vol.)
Petrie (F.) , The Arts and Crafts of Ancient Egypt (1 vol.)
Schäfer (H.) , Von ägyptischer Kunst, besonders der Zeichenkunst (2 vol.)
Steindorff (G.) Die Kunst der Ägypter (1 vol.)
Wilkinson (J. G.) , The Architecture of Ancient Egypt (2 vol.)

VII Periodical Publications.

Annals of Archaeology and Anthropology issued by the Institute of Archaeology, University of Liverpool.
Annals du Service des Antiquités de l'Egypte
Bullotin de l'Institut français d'archéologie orientale
The Journal of Egyptian Archaeology, published by the Egypt Exploration Society
Proceedings of the Society of Biblical Archaeology
Revue de l'Egypte ancienne
Revue égyptologique
Revue de l'histoire des religions
Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde.

شفيق فريد
ليسانس الآداب (قسم التاريخ) وبمعهد الآثار المصرية